المحاضرة التاسعة: علم اجتماع الحضري

تمهيد:

إن المدينة طراز متميز للحياة الاجتماعية والإنسانية فالمدينة هي الوجه المحرك الداخلي لمحيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والوجه الخارجي للبلاد وهي أداة ونتيجة في نفس الوقت للتنمية الوطنية وهي قبل كل شيء ظاهرة ارتبط وجودها بوجود المجتمع السكاني، ويختلف نمطها باختلاف المراحل والزمن الذي قطعته البشرية وبطبيعة الحال أن الإنسان جزء من هذه المدينة وعنصر أساسي في التفاعل والتغيير والبناء الاجتماعي، إلا أنه في ذات الوقت الكائن الذي يكون عادة السبب في المشاكل الاجتماعية في المدينة، وقد عرف أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس ويعالج الظواهر ويسعى لمعرفة أسبابها كما ان ميادينه واسعة ومتعددة وكل ميدان أخذ موضوع واهتمام للبحث ومن ميادينه علم الاجتماع الحضري:

فما هو مفهوم علم الاجتماع الحضري؟ وما هي أهم موضوعاته وفيما تكمن أهميته؟

أولا: نشأة علم الاجتماع الحضري وتطوره

يعد علم الاجتماع الحضري أحد فروع علم الاجتماع العام وقد شهد هذا العلم تطورا واضحا ومميزا في العصر الحديث في **أوروبا** و**أمريكا** خاصةً مع نمو المدن وتنامي أهميتها الكبرى في تغيير مجرى الحياة في المجتمع، ومن خلال تحليل المسار التاريخي للدراسات الحضرية نجد في بدايتها كانت تعرض ظواهر علم الاجتماع الحضري في سياق دراسة موضوعات أخرى، ولم تقصد هذا الموضوع لذاته أو تنتبه لما له من أهمية خاصة. [1]

– وقد بدأت الدراسات الحضارية في القرن 16 م حيث كان من أوائل الرواد الذين اهتموا بهذا الموضوع "**جدوين يسحو برج**" الذي نشر في عام 1598 كتابه بعنوان «**علم الاجتماع الحضري المقارن**» مشيرا فيها إلى أن القرن السادس عشر هو البداية الفعلية لصياغة نظرية مدرسات الحضرية.

(1) حسام صالح، " **محاضرة في علم الاجتماع الحضري**"، جامعة الملك فيصل، ص 02.

– وفي عام 1858 قدم **ماكس فيبر** كتابه الشهير الذي يحمل اسم «**المدينة**» حيث عارض فيه لتحليل طبيعة المدينة وبحث في وظائفها السياسية والإدارية.

– ثم جاءت بعد ذلك **أدنا فيبر** عام 1899 التقدم بحثا بعنوان نمو المدن في القرن التاسع عشر، وفي عام 1910 نشر **رنيه مورييه** كتابه تحت اسم «**نشأة المدن ووظيفتها الاقتصادية**» وكان لهذا العمل مساهمة مميزة وايجابية في تقديم وصياغا نظريا ومنهجيا وإسهاما نظريا في علم الاجتماع الحضري.

– حيث يمكن القول أن الدراسات المتعلقة بعلم الاجتماع الحضري في أوروبا قد اهتمت «**بالتناوب التاريخي المقارن للظاهرة الحضرية**» الموضوع أساسي لدراسة النظرية تطبيقيا، باعتبارها وحدة اجتماعية مميزة لها سماتها الخاصة من حيث نشأتها وتطورها بنائيا ووظيفيا.

– أما في **امريكا** فظهر اهتمام علماء الاجتماع الحضري بموضوعات متعددة وقد تمثلت ذلك في أعمال **لوريس ممفورد**، حيث قدم كتاب يحمل اسم **المدينة في التاريخ** وكذا **كتاب ثقافة المدن**.

– أما **روبرت بارك** فقد قدم كتابه عام **1955** والذي يحمل عنوان **المجتمع الحضري** وركز في هذا الكتاب على دراسة نمو المدن، وكما أشار في هذا الكتاب إلى ان علم الاجتماع الحضري بوجه عام هو «**الدراسة السوسيولوجية للمدن أو للحياة في المدينة**».

– أما بالنسبة **للعالم العربي** فقد كانت هناك إسهامات عديدة نشطت الدراسات الحضرية أمثال **مصطفى الخشاب** في كتابه «**الاجتماع الحضري**»، و**عبد المنعم شوقي** في كتابه «**مجتمع المدينة**» وغيرهم من الباحثين من الباحثين العرب الذين ناقشوا المدينة من زوايا متعددة.

– ويمكن القول أن جميع الدراسات السابقة ساهمت بشكل كبير في دعم الإطار النظري والمنهجي لعلم الاجتماع الحضري وإثراء جوانبه التطبيقية، باعتباره فرع من فروع علم الاجتماع العام. [1]

(1) سعيد أحمد هيكل، **علم الاجتماع الحضري**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 30.

ابن خلدون:

يعد المفكر العربي **ابن خلدون** (1332هـ-1404م) من أوائل المفكرين الذين اهتموا بدراسة ظاهرة النمو الحضري، فاهتم في مقدمته المشهورة بمعالم نشأة المدن والظواهر المرتبطة بها، وكتب في هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الباب الرابع الذي كان عنوانه «**في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعارض في ذلك من الأحوال وفيه سوابق ولواحق**»، ورؤية **ابن خلدون** لهذه الظاهرة بلغ شأنا بعيدا، عندما استخدم مفهوم العمران المفرط بقوله: «**أن الحمامات بلغ عددها في بغداد في عهد المأمون 65 ألف حمام وكانت مشتملة على مدن وأمصار متناصفة ومتقاربة تتجاوز الأربعين ولم تدم مدينة وحدها يجمعها سور واحد لإفراط العمران، أي التضخم الحضري والعمراني وكذلك حال الثيران وقرطبة ومصر والقاهرة بعدها**» وتكلم **ابن خلدون** على المشكلات الناجمة عن ظاهرة النمو الحضري بسبب الهجرة الريفية التي تخلق الازدهار السكاني، أو الترحم على الخدمات العامة وأشار أيضا برؤية تخطيطية معاصرة إلى ظاهرة التلوث الناتج عن النمو الحضري الذي يسبب تدهور البيئة الحضرية والطبيعية الذي يؤثر في سكان المدن. [1]

الفارابي:

من أهم مؤلفات **الفارابي** وأعماله العلمية كتاب «**السياسات المدنية**» وكتاب علم «**المدينة الفاضلة**»، أما بالنسبة لكتاب الأول ينقسم إلى جزئين الأول فلسفي يتناول مراتب الموجودات الروحية والمادية، وبالتالي يتناول قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية.

أما كتاب أهل المدينة الفاضلة فهو كذلك ينقسم إلى جزئين، الأول «**الأساس الفلسفي**»، والثاني «**المجتمع المثالي**» للمدينة الفاضلة، أما الثاني فيتناول موضوع الحاجة إلى الاجتماع البشري، تلك الحاجة التي تتجسد في القوام المادي والكمال المعنوي، فيرى الفارابي أن المدينة

(1) عبد الباقي عبد الجبار الحيدري، **نظرة ابن خلدون لظاهرة النمو الحضري**، 2011، ص 50.

الفاضلة هي المدينة والمجتمع الذي تتحقق فيه السعادة وتطغى عليها مبادئ العدالة والحقن وان يختص كل واحد منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها وفق طبيعته البيولوجية.

– و**الفارابي** يقسم **المدينة الفاضلة** إلى ثلاثة أقسام حسب الأعمال التي تمارسها هذه المجموعات «**مجموعة القادة والحكام ورجال الدين، مجموعة الجنود وـ عن المدينة، والمجموعة الأخيرة هي الصناع والفلاحين**» فالمدينة الفاضلة تتكون من نظم متكاملة ومتصلة الواحدة بالأخرى كالنظام السياسي والنظام الديني والنظام الأسري.[1]

ثانيا: مفهوم علم الاجتماع الحضري

هو الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية في مختلف القضايا التي تخص المدينة والوسط الحضري، سواء تعلق الأمر بالظواهر الاجتماعية أو مختلف الأفعال والممارسات ذات طابع حضري، فضلا عما تتميز به المدينة من قيم ومعايير اجتماعية ذات الطابع الحضري.

وهو دراسة سوسيولوجية للحياة والتفاعل الإنساني في المناطق الحضرية، والانضباط المعياري لعلم الاجتماع يسعى لدراسة الهياكل والعمليات والتغيرات والمشاكل في المنطقة الحضرية.

وهو دراسة سوسيولوجية للمدن ودورها في تنمية المجتمع. [2]

ثالثا: مفاهيم علم الاجتماع الحضري

1–**الحضرية:** يشير هذا المصطلح إلى الحالة وكيفية أو طريقة للحياة، كما أشار لويس ويرث إلى ذلك وبهذا المعنى تنحصر في مجتمع المدينة، لها عدة خصائص منها:

- ظهور تقسيم العمل كضرورة ملحة لظروف المكان وهذا التقييم للعمل يعتمد على بناء مهني، وهذا بدوره يؤشر البنية الطبقية الاجتماعية في المدينة.
- ظهور مساحة واسعة للتحرك الأفقي والرأسي، أو الحراك الاجتماعي.

(1) علي عبد الواحد وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**، ط4، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ص 95.

(2) ميمونة مناصرية، **المدينة "السكان والعمران"**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2018، ص 15.

- في مجتمع المدينة هناك توازن بمعنى أن هناك اعتماد وظيفي وتساند وتبادل بين الأفراد.
- في مجتمع المدينة، تظهر وسائل الضبط الاجتماعي بصورة رسمية متمثلة بالقانون والسلطة التنفيذية.

– يرى **نلز أندرسون** أن الحضرية تعني حدوث تغيرات في القيم التي يؤمن بها المنتقلون من القرى إلى المدن.

وهي أسلوب أو طريقة السلوك في الحياة اليومية في المدينة.

لقد كان من النادر استخدام كلمة حضري في اللغة الحضرية **Urban** فيما قبل القرن التاسع عسر ولقد تضمن **قاموس أكسفورد** المختصر تعريفا لها بأنها كل من يتصل بالمدينة أو حياة المدينة، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية **Urbs** وهي اصطلاح كان **الرومان** يستخدمونه للدلالة على المدينة.

2–التحضر: حدد **جيرالد بريز** أن التحضر: «**أن التحضر عملية تغير كمي وكيفي معا، تؤدي إلى تحولات كبيرة في خصائص المجتمعات المحلية وسماتها ووظائفها**»، طرح **كلايد ميتشل** تعريفا للتحضر ركز فيه على فكرة الانتقال إلى المدينة والإقامة فيها لشرط التحضر، فالتحضر من وجهة نظره«**تلك العملية التي يصبح الناس بموجبها حضريين، وذلك بالانتقال من القرى إلى المدن، والتحول من الزراعة كمهنة رئيسية إلى مهن أخرى ملائمة لحياة المدن، ويصاحب ذلك تغيرات موازية في أنماط السلوك**».

وفي الأخير إن التحضر هو التركيز السكاني/ التجمع السكاني في منطقة معينة، وكذلك يمكن القول أن التحضر هو الاستقرار في مكان معين ومزاولة مهنة أو عمل معين. [1]

3–مؤشرات قياس التحضر:

- متوسط دخل الفرد باعتباره قوة مؤشرة في تحديد المستوى المعيشي للفرد.
- الصحة العامة، ومتوسط العمر ودرجة انتشار الأمراض والوعي الصحي.

(1) عزام إدريس وآخرون، **المجتمع الريفي والحضري والبدوي**، الشركة العربية للتسويق، القاهرة، 2010، ص ص 273–275.

- نظام السكن الصحي الحديث ومستوى الخدمات التي تقدم للمواطنين.
- المستوى التعليمي والوعي الثقافي، ويدخل في نطاقه نسبة المتعلمين بالنسبة لعدد السكان، ونسبة القوى العاملة الوطنية وعدد المؤسسات التعليمية في المدينة والمراكز الثقافية والصحف اليومية.
- نمط الاستهلاك الذي يعكس ثقافة الفرد ومدى تحضره لأنه يتشكل في ضوء القيم والمعايير الاجتماعية التي يكتسبها الفرد داخل المجتمع.
- استخدام مصادر الطاقة ودرجة الوعي الاجتماعي التي تعكس درجة التحضر من خلال الأسلوب الحضري الذي يستخدمه الفرد في المعاملة اليومية. [1]

4-خصائص المجتمعات الحضرية:

أ- **حجم المجتمع:** يتسم المجتمع الحضري بكبر حجمه وكثافته السكانية العالية في الكيلومتر المربع وزيادة عدد المباني وتكون غالبا زيادة رأسية أفقية.

ب- **المهنة:** تعتبر المهن الرئيسية لسكان المدن هي الأعمال الإدارية والمهنية والنشاطات التجارية والصناعية كما تفرض المدينة على السكان تقسيم العمل والتخصص الدقيق وخاصة في مجال الطب والهندسة والقانون والمحاسبة وغيرها...

ج- **وقت العمل والبطالة:** يتصف العمل في المدينة بالاستمرارية طيلة العام إلا أنه أحيانا تكثر البطالة المقنعة والبطالة الحقيقية بسبب عدم توفر فرص العمل لجميع السكان.

د- **مستوى المعيشة:** يلاحظ أن متوسط الدخل للفرد في المدينة يكون غالبا أعلى من في الريف، كما أن مستوى المعيشة في المدينة يعتبر أفضل منه في الريف إلى جانب توفي الخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية.

(1) صابر عبد الباقي، " **محاضرات في علم الاجتماع الحضري**"، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، ص 3.
http://vb.ckfu.org/attachements/.com

هـ- **الثقافة:** يتميز سكان المدينة بارتفاع المستوى الثقافي نظرا للاهتمام بالتعليم وكثرة المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الثقافية ووسائل الإعلام المرئية والمسموع.

و- **الفوارق الاجتماعية:** تظهر الفوارق الاجتماعية بين سكان المدينة بشكل واضح من خلال وجود أحياء سكنية راقية خاصة بالطبقة الغنية وأخرى شعبية أو فقيرة يسكنها الفقراء المعوزين.

ز- **الأسرة الحضرية:** تمتاز الأسرة الحضرية غالبا بأسرة نواة صغيرة الحجم وقليلة عدد الأطفال كما يلاحظ أن بعض الرجال يساعدون زوجاتهم في تربية الأطفال أو في الأعمال المنزلية أما العلاقات الاجتماعية فهي محدودة جدا بين سكان المدن كما أن بعض السكان كبار السن ليسكنون وحدهم في بيت مستقل على الرغم من وجود أبنائهم في نفس المدينة وكذلك معظم الشباب من الجنين في الدول الغربية.

ح- **النشاط السياسي في المدينة:** يلاحظ كثرة الأحزاب السياسية والنقابات المهنية في المدينة.

ط- **النشاط الترفيهي في المدينة:** في المدينة تمتاز المدينة بتوفر الأنشطة الترفيهية لعل أهمها المكتبات العامة والمسارح والحدائق العامة والمتاحف والنوادي، الرياضة وغيرها.

ي- **المؤسسات الاجتماعية والخدمية في المدينة:** تمتاز بتوفر الكثير من المؤسسات الاجتماعية أهمها الجامعات، المعاهد العليا... المستشفيات العامة، المصارف التجارية ومؤسسات الدولة الخدمية وغيرها التي تغري سكان الريف بالهجرة إلى المدينة. [1]

(1) صابر عبد الباقي، نفس المرجع السابق، ص 5.

رابعا: أهمية علم الاجتماع الحضري:

الوقوف على الآثار المفاجئة للحياة الحضرية علا الفلاح الذي كان مرتبطا بالأرض ومعتادا على الحياة الاجتماعية المنعزلة في القرية والتواترات التي تصيب البدوي المتجول الذي ينتقل من فترة الحياة القبلية الصحراوية إلى الحياة المزدحمة والمعقدة في شوارع المدينة، [1] مثل هذه الموضوعات التي تفرض نفسها اليوم وكذلك المستقبل إنما تقع في دائرة اهتمام المتخصصين في علم الاجتماع الحضري.

ويمكن أن يكون لعلم الاجتماع الحضري أهميته من ناحية أخرى إذ أن الدراسات الحضرية ذات أهمية لعلم الإجماع نفسه، ذلك أن دراسة عملية التحضر يمكن أن تخدم دراسة التغيير في أي مجتمع من المجتمعات هذا غلى جانب البناء والتنظيم الاجتماعي الذي يقوم أساسا على الحياة الحضرية ويمكن أن يفيد هذا في فهم البناء والتنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع.

ويضيف **رايسمان** أن هناك بعض الموضوعات التي لا يمكن دراستها دراسة حقيقية إلا من خلال مجتمع الحضري كالطبقات الاجتماعية والبيروقراطية.

– ويمكن أن تعتبر المدن والمراكز الحضرية بمثابة المعمل الذي يصلح لدراسة عدد من ملامح المجتمع من ذلك مثلا «الهجرة إلى المراكز الحضرية والهجرة الريفية–الحضرية والهجرة الحضرية. –الحضرية». [2]

خامسا: مجالات علم الاجتماع الحضري

– يتحدد المجال العام لعلم الاجتماع الحضري بصورة أساسية بإعلان الباحثين بالظواهر الحضرية وظواهر نشأة المدن ونموها وتطورها وأنماط هذه المدن ووظائفها بأن هذه الجوانب المختلفة يمكن أن تكون مجالا لنظام علمي خاص، ومن ثم بدأ العلماء يتحدثون عن علم

(1) محمد الجوهري، **علم الاجتماع الحضري**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2009، ص 16.

(2) المرجع نفسه، ص 17.

الاجتماع الحضري باعتباره النظام العلمي الذي يتخذ من كل الجوانب مجالا لدراسات النظرية والتطبيقية.

– من وجهة نظر **فيرث** فقد حدد مجال علم الاجتماع الحضري بدراسة خصائص المجتمع الحضري الذي يتسم بروابطه الثانوية وتنوع أدواره وارتفاع معدلات حراكه الذي يتميز بسمات خاصة من التعبير، وكبر حجمه وارتفاع الكثافة السكانية فيه وعدم تجانسه وبذلك يتخذ فيرث من المدينة بظواهرها الوحدة الأساسية التي يتحدد بها علم الاجتماع الحضري.

– **فيري** فقد اتخذ من القيم الثقافية الموضوع الأساسي الذي يستند إليه تعريفه لعلم الاجتماع الحضري واعتباره أساسا في تفسير جميع مظاهر الحياة في المدينة بما تضمنته من تنظيمات وأبنية اجتماعية وايكولوجية في حين أن **جلاس** و**لويس ممفورد** يتخذان من نشأة المدن وتطورها وتحليلاتها التاريخية ركيزة أساسية لفهم ضرورة وجود وتميز علم اجتماع الحضري الذي فرض نفسه على العلماء الاجتماعيين. (1)

سادسا: قضايا علم الاجتماع الحضري

العمل: يمثل القضية الأولى من قضايا علم الاجتماع الحضري، فيساهم بتوزيع الأفراد بناء على طبيعة الوظائف والمهن التي يعملون بها، مثل: الصناعة والتجارة وغيرها من التصنيفات المهنية الأخرى التي يسعى الباحثون في هذا المجال بدراستها، والتعرف على دورها في التأثير بالمجتمعات الحضرية.

حجم المجتمع: هو القضية التي تعتمد على دراسة معيار التميز بين المجتمع الحضري والمجتمع الريفي، فيعتمد على دراسة المساحة الجغرافية المخصصة للبيئة المدنية، فالمجتمعات الحضرية تتميز بمساحاتها الجغرافية الكبيرة وتحتوي على بيئة تجارية على عكس المجتمعات الريفية التي تتميز بمساحاتها الجغرافية الصغيرة والتي تحتوي على أراضي زراعية ولا توجد فيها بيئة تجارية واسعة بل تقتصر على محلات البقالة.

(1) غريب محمد سيد أحمد، **علم الاجتماع الحضري**، ط2، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 2012، ص 80.

كثافة السكان: هي القضية التي تهدف إلى وضع مقارنة بين الكثافة السكانية في المجتمعات الحضرية والريفية فيحتوي المجتمع الحضري على كثافة سكانية مرتفعة، ومتزايدة مع مرور الوقت، أما المجتمع الريفي فتعتبر كثافته السكانية منخفضة وثابتة غالبا نتيجة لمحدودية الزيادة في عدد السكان. (1)

سابعا: نظريات علم اجتماع الحضري

تطرقت عدة نظريات اجتماعية لمسالة التحضر من جوانب مختلفة أهمها:

1- **النظرية الايكولوجية:** اطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى المدرسة الفكرية الأمريكية المعروفة بـــ: **مدرسة شيكاغو** التي اهتمت بالبحث في مجال علم اجتماع الحضري، ومن أهم روادها **روبرت بارك و إرنست برجس ورودريك ماكينزي...** ولقد وضع **بارك** الإطار العام لهذه النظرية على أساس أن المدينة تعتبر بمثابة المكان الطبيعي والثقافي الذي يقصده الإنسان المتحضر فهي وحدة على درجة كبيرة وعالمية من التنظيم، بينما اهتم **ماكينزي** بالقوانين الداخلية والعمليات التي تسيطر على هذا التنظيم ونتيجة لذلك انطلق بارك الداخلي والعمليات التي تسيطر من حقيقة أن العالم الطبيعي وحدة تتحرك وفق قواعد منتظمة محاولا تطبيقها على دراسة المدنية ومن ثم استطاع من خلال بحوثه الكشف عن الأنماط المنتظمة في مكان للعلاقات الاجتماعية والايكولوجية للبحث عن العمليات والعوامل التي تؤدي إلى التوازن الحيوي في المجتمع، وقد ذهب **برجس** إلى أن ظاهرة النمو الحضري هي نتيجة لازمة عمليات التنظيم والتفكك في نفس الوقت, وقد تضاءل نفوذ هذه النظرية طيلة عدة عقود إلى أنها تنتعش مرة أخرى على يد علماء الاجتماع محدثين، وبدل من التركيز على عناصر المنافسة على الموارد النادرة داخل المدن، أخذ هؤلاء يتحدثون عن التدخل والاعتقاد المتبادل بين مختلف المواقع في الأماكن من المدينة ولكن رغم أهمية الأبحاث الميدانية التي قام أنصار هذه النظرية الذين

(1) http//.www.mawdoo.com//,18-10-2019,10:35.

اعتبروا النمو الحضري عملية طبيعية، ورغم الانتقادات الموجهة إلى هذه النظرية فإنها تعد ذات أهمية قصوى في الدراسة الحضرية. [1]

2- **النظرية النفسية الاجتماعية:** تجسدت في كل من أعمال ماكس فيبر وجورج زيمل أوزفالد من خلال المدرسة الألمانية حيث أكد فيبر على ضرورة ايجاد نظرية أكثر شمولية واتبع منهجا مختلفا تماما عن ما قيله محاولا إبراز الظروف التي تجعل دور المدينة ايجابي واعتبر المدينة منطقة مشفرة وكثيفة بالسكان واهتم بدراسة عقليتهم الحضرية أما جورج زيمل فقد ركز على إدخال الجانب النفسي السيكولوجي كالتوتر والذكاء.. في أشكال الحضرية الحديثة، تشير إلى إمكانية ظهور حياة حضرية جديدة ومعقدة باعتماد الجوانب السيكولوجية.

3- **النظرية الثقافية الحضرية:** لويس ويرث والحضرية كأسلوب للحياة، يرى لويس من جهته أن المجتمع الحضري يتميز بالحجم والكثافة والتجانس وهو الحجر الاساسي للتنظيم الاجتماعي للسلوك، ويؤكد أن الحضرية كأسلوب في الحياة، تتميز بسيادة العلاقات الثانوية والعلمانية، وبالتالي تصبح المدنية مركز للعلاقات الاجتماعية وقد قارن ويرث بين المجتمعات الريفية والمراكز الحضرية، واعتبر السمات التي تظهر أو تتطور في البيئة الحضرية بمثابة مصاحبات ضرورية لنمو المدنية وخاصة الكثافة، وفي هذا الصدد يءكد ويرث فإن الكثافة المرتفعة للسكان وعدم التجانس في حياتهم الاجتماعية وهي متغيرات أساسية أو خصائص مميزة للمجتمع الحضري تسلم بدورها إلى عدد من القضايا التي ترتبط بطبيعة الحياة الحضرية وشخصية سكانها، ومن هنا يرى ويرث بأنه كلما كبر حجم المدينة اتسع نطاق التنوع الفردي وارتفع معدل التمايز الاجتماعي بين الأفراد.

4- **ابن خلدون والتنمية الحضرية:** يعتبر **ابن خلدون** من المفكرين العرب الأوائل الذين درسوا الظاهرة الحضرية واعتبروا المدينة بنية اجتماعية في تطور دائم، فهو يرى أن الإنسان حضري بطبعه وأن المدينة هي نتاج تواجد لأعداد من السكان ضمن علاقات اجتماعية، كما

(1) الاس والرواد، **نشأة علم الاجتماع** ، ترجمة: إبراهيم بو يحياوي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010، ص 45.

أنه يعتبر المدينة أو العمران الحضري هي أعلى درجات التحضر، إذ يرى أنه كلما كبر حجم السكان زادت رفاهية الأفراد خلافا على ذلك فالمدينة ذات حجم سكاني أقل تكون في الغالب في وضعية تنموية ضعيفة وفي نفس الملاحظة يبديها سكان الأرياف، فإن **ابن خلدون** يسدد في الحجم والقوة في إنتاج مدينة تجمع بين النمو أو التنمية، فعلاقة البيئة الحضرية تعكس عنها البيئة الاجتماعية وكذا البيئة الحضرية ترتبط بالوضعية الاقتصادية والتقدم المعرفي والتكنولوجي.

وبذلك يتضح أمامنا أن دراسة المدن ومظاهرها وخصائصها وظواهر نشأتها ونموها وما تنظمه من مظاهر وقيم وأبنية وتنظيمات اجتماعية وايكولوجية جانبا أساسيا من الجوانب المكونة لمجال الدراسة النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع الحضري.

الاتجاهات النظرية لعلم الاجتماع الحضري:

المدينة كمتغير أساسي: يرجع مفهوم المدينة وبلورته كمتغير أساسي في غلم الاجتماع الحضري إلى علماء الاجتماع الذين ينتمون إلى مدرسة شيكاغو وعلى الأخص روبرت بارك ثم لويس ويرث وروبرت ريفيلد، فلقد انطوت محاولاتهم في تفسير الحياة الحضرية على عدد من الصعوبات فتفسيراتهم التي تعتمد على المفاهيم الايكولوجية لم تكن مرتبطة تماما بمجهوداتهم في تفسير النشاط الاجتماعي وبالرغم من أن أصحاب هذه المدرسة قد قدموا تفسيرات مختلفة إلا أن النظرية ذاتها قد استبعدت المظاهر الاجتماعية للعلاقات الإنسانية المتبادلة باعتبارها ميكانزما لتفسير الأنماط الايكولوجية وإن نظرية لويس ويرث التي يذهب فيه إلى أن المجتمع الحضري الذي يتميز بالحجم والكثافة واللاتجانس هو الأساس المحدد للتنظيم الاجتماعي والسلوك وقد خص ويرث إلى أن الحضرية كأسلوب في الحياة تتميز بالعلمانية ومن الواضح أن كتبات ويرث تعكس روح العشرينيات والثلاثينيات القرن العشرين وهي الفترة التي كان فيها

الكثير من المثقفين الأمريكيين[1]، بما في ذلك علماء الاجتماع يحاولون أن يتكيفوا مع الضغوط الاجتماعية التي نشأت منها الصراع الثقافي الناتج عن الهجرات.

وتهمنا من دراسات ويرث أربع نتائج هامة هي:

1. أن التحضر أو ظهور المدن أو نموها: يجذب المهاجرين من مختلف بقاع المجتمع او الأرض مختلفون ولكن متكاملين ثقافيا أو حضريا واقتصاديا وليسوا متشابهين أو متجانسين.

2. إن المهاجرين من الريف يواجهون في المدينة حضارة متقدمة طاغية تضطرهم على التخلي عن حضارتهم وقيمهم وأساليب سلوكهم المتوارثة لديهم والامتثال للحضارة الجديدة أو العودة من حيث أتوا أو الضياع.

3. إن الحضري أو بعبارة أدق ساكن المدينة يحقق ذاته وينمي شخصيته ويكسب مراكز ويمارس مختلف الأنشطة المختلفة سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو تعليمية أو سياسية أو دينية.

4. إن المدينة تفتح العالم على المهاجرين من الريف وتزيد من علمهم به وتغير نظرتهم إليه.

1) القيم الثقافية كمتغير أساسي: أما الاتجاه النظري الثاني فيتصادم مع الاتجاه النظري السابق، من حيث أنه يسعى إلى تفسير التنظيمات الايكولوجية والاجتماعية في ضوء القيم الثقافية ولقد أسهم عدد من علماء الاجتماع في تطور هذا الاتجاه مثال ذلك العمل الذي قدمه **كولب** وكذلك بحث **والتر فيري** عن استغلال الأرض في بوسطن الذي يمثل جهدا أساسيا في تحليل دور القيم في التنظيم الايكولوجي للمدينة والواقع أن هذا التحليل قد منح هذا التوجيه النظري قوة دافعة وذلك انه قد أثار كثيرا من الجدل بالإضافة إلى المقال الشهير الذي كتبه **فون جرو** عن المدن الإسلامية فقد أوضح هذا المقال أن المدن الإسلامية التقليدية تتميز على وجه الخصوص بطريقة فريدة في الحياة حيث يؤثر فيها القيم الدينية على نشاطات الحياة الحضرية مثلا في فترات منظمة خلال اليوم يؤذن المؤذن لدعوة المؤمنين للصلاة، وهذا إجراء يشغل إلى حد ما مكانا في النشاطات اليومية، وخلال شهر رمضان يعدل الناس من نشاطاتهم لكي تتفق مع القيود الدينية التي يفرطها الصوم من شروق الشمس

(1) سعيد أحمد هيكل، **علم اجتماع الحضري**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 37.

إلى غروبها وفي هذا الشهر أيضا يتحول إنجاز بعض الأعمال من النهار إلى الليل، فاستنتج أن القيم الثقافية تعتبر المسئولة عن طبيعة التحضر في كل الدول.

2)التكنولوجيا كمتغير أساسي: أما الاتجاه النظري الثالث في علم اجتماع الحضري فيعتمد على التكنولوجيا ومن رواد هذا الاتجاه **هولي** و**أوقيرن** فباعتبار التكنولوجيا متغير أساسي وهذا يكون في التصنيع أي ذلك يمثل نظاما يستخدم طاقة غير بشرية نمطا خاصا وبالرغم في ذلك فقد كشف بعض الرواد عدم صدق بعض التعميمات الايكولوجية التي تتناول تأثير التكنولوجيا على أنماط العيش في المدن.

3)القوة كمتغير أساسي: أما المتغير النظري الرابع والأخير فيمثل المصلحة الخاصة الذي يعتبر القوة الاجتماعية فيه صغيرا مستقلا، ولقد أدخل **ويليام فورم** هذا الاتجاه حديثا في نطاق الايكولوجيا الحضرية لكي يفسر على أساس أنماط استغلال الأرض الحضرية، والواقع أن هذا الاتجاه لا يزال بحاجة إلى بلورة وتوضيح ذلك أن **فورم** قد اهتم فقط بما هو سائد في المجتمعات المحلية الصغيرة ولم يستطع أن يوضح مدى فائدة هذا الإطار في التنظيم الاجتماعي الحضري بوجه عام.

خلاصة:

لقد أدى تعدد وتبلور الإسهامات النظرية للعديد من الباحثين إلى تحقيق فهم أفضل للظروف الريفية والحضارية، في ضوء المقابلة بين نموذج أو تصور مقابل له المجتمع الريفي باستخدام عدة محكمات في وقت واحد.

يتم في ضوئها تشخيص سمات كل من المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، وبالنظر إلى التحولات التي أصبحت تعيشها المدينة المعاصرة، فإن الكثير من المنظرين والباحثين أصبحوا يركزون أكثر على المجتمع الحضري بشقيه العصري والتقليدي، بحيث تنقسم كل مدينة إلى مناطق وأن لكل منطقة منها مميزات خاصة.